الخطب المنبرية

لفضيلة الشيخ الدكتور

محمد هشام طاهري

(حفظه الله تعالى)

خطبة الجمعة بعنوان

المال نعمة أم نقمة؟

بتاريخ/ ١٦ ذو الحجة ١٤٤٣ هـ ١٥ - ٧ - ٢٠٢٢م

خطبة الجمعة

((المال نعمة أم نقمة؟))

الحمد لله الكريم المنان أحمده سبحانه الرحيم الرحمن وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له جعل المال في هذه الحياة زينة الدنيا وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله خاتم النبيين وإمام الزاهدين صل الله وسلم عليه وعلىٰ آله وصحبه إلىٰ يوم الدين:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]

أيها المسلمون:

إن المال يتداولها الناس فيما بينهم فيأخذها الخالف عن السالف والآخر عن الأول ويتداولها الناس فيما بينهم بطريقةٍ شرعيةٍ أو محرمة فقد تعلقت بها قلوب أهل الدنيا حتىٰ قال الله عنهم: ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلۡمَالَ حُبّٗا جَمّٗا ٢٠﴾ [الفجر: ٢٠]

ولا ريب أن المال زينة من زينة الحياة كما قال جَلَّوَعَلَا: ﴿ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا ٤٦﴾ [الكهف: ٤٦]

والباقيات الصالحات: ذكر الله عَزَّوَجَلَّ كقول المسلم سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ونحو ذلك فإنها خير عند الله ثوابا وخير عند الله أملا، والناس تجاه المال أصنافٌ:

فنصفٌ زهدوا في المال حتىٰ صاروا يهملونه ولا يتزودون فيه لأداء الحقوق الواجبة عليهم وأداء المستحبات حتىٰ أوصلهم ذلك الزهدُ الزائف إلىٰ أن يمدوا أيديهم ليسألوا الناس.

وصنفٌ استهوتهم الأموال حتىٰ أعدوه غايةً في نفسه حتىٰ صار أحدهم لا يعرف لله حقَ ولا يعرف لله عَزَّوَجَلَّ عبودية وهو يجمع المال كيفما اتفق لسان حاله يقول: ما دام المال يصل إلىٰ يده فأنا في حِلٍ من أمره وهذا حال الرأس مالية ومن نحىٰ نحوهم.

وصنفٌ توسطوا في الأموال وهم أهل الدين وحسن الحال والمآل فلم يلتفتوا إلىٰ المالِ وينظرُ إليه نظرة أنه رجس من عمل الشيطان ولم يلهثوا ورائه لهث أهل الدنيا بل علموا أن المال ما هو إلا كالكنيف يقضي به المسلم حاجته ويقيم به شؤون حياته ويسير فيه بأداء الواجبات.

عباد الله:

إن نظرة الشرع للمال هي نظرةٌ تجمع بين تحصيل المال بالطرق المشروعة وبين اتخاذه وسيلة للمعايش لا غايةٌ تفنىٰ الأعمار في جمعه وتكديسه ولا يتفانىٰ الناس في جلبه وتحصيله فأولئك أناسٌ مات أحدهم وفي رصيده ملايين الملايين ما الذي استفاد من ذلك؟ حسابه عليه وتنعم الناس بماله من بعده فـ وحسرةً علىٰ حاله إن لم يكن مقدمًا شيئًا من ماله المال بحسب متموله ومستعمله فقد يكون نعمةً وقد يكون نقمةً ولذلك مدح الله المال فسماه نعمةً في مواضع فقال سبحانه: ﴿وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ﴾ [فصلت: ٥١]

ومدحه وسماه رحمه فقال: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾ [فصلت: ٥٠]

ومدحه سبحانه فسماه خيرًا فقال: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾﴾ [العاديات: ٨]

والخير هنا بمعنىٰ المال وهذا المال نعم الصاحب الصالح لكن للرجل الصالح.

فعن أبي سعيدٍ الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: قام علىٰ المنبر فقال: إن هذا المال خضرةٌ حلوة، [خضرةٌ: أي إشارةٌ إلىٰ أن الأعين تتنعم بالنظر إليها، وحلوة: إشارةٌ إلىٰ أن النفوس تتذوقُها] ثم قال: ونعم صاحب المسلم لمن أخذه بحقه فجعله في سبيل الله واليتامىٰ والمساكينِ وابن السبيل ومن لم يأخذه بحقه فهو كالآكل الذي لا يشبع ويكون عليه شهيدًا يوم القيامة" [متفق عليه]

وعن عمر ابن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: نعم المال الصالح للمرء الصالح"

[أخرجه أحمد وابن حبان في صحيحه]

وحذر الله تعالىٰ من المال فسماه فتنةً فقال تعالىٰ: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنفال: ٢٨]

فلا تحسبن المال في يدك أو في رصيدك أن ذلك ليس بابتلاء، بل هو عين الابتلاء والبلاء فانتبه يا عبد الله، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عن النبي ﷺ قال: تعس عبد الدينار [وعبد الدينار: هو الذي يكسبه من حرمته ومن حله لا يبالي من أين جاء المال] تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وهو الذي لا يؤدي به الواجبات ولا يصرفه في المستحبات وإنما يكنزه أو

يدخره ويظن أن ذلك مخلده يظن ﴿أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخۡلَدَهُۥ ۝٣ كَلَّاۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ ۝٤﴾ [الهمزة: ٣-٤]

تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وهو الذي يظن أن هذا المال سيجعل له جاهًا في الدنيا وما علم أن جاه المال منصرفٌ وأن جاه المال منهزمٌ وأن جاه المال منتهٍ بموته فلا يعرفه الناس لأنهم يقتسمون ماله وجاهه، تعس عبد الدينارِ وعبد الدرهم وعبد الخميصةِ: وهو الذي يتفاخر بثيابه إن أعطي رضي وإن لم يعط سخط تعس وأنتكس وإذا شيك فلا أنتقش" [أخرجه البخاري في صحيحه]

وهذا الحديث فيه دعاء عليه تعس وأنتكس أي تعس بماله فليس المال هي حقيقة السعادة فكم من صاحب مالٍ يود لو ينام قرير العين وكم من صاحب مالٍ يود لو يكون معافً في بدنه وكم من صحيح المال يود لو كان له صالحٌ في ذريته يرىٰ الناس كلهم يتربصون به لأجل ماله فيعيش في قلقٍ أبدا.

وأما الذي يجعل قانونه هو المال إن أعطي رضي وإن لم يعط سخط فما أكثر سخطه وما قل رضاه.

إخوة الإسلام:

حث الشريعة الغراء علىٰ كسب المال من وجوهٍ مباحة ونهىٰ الله عَزَّوَجَلَّ عن اكتسابه من الطرق المحرمة فقد قال جَلَّوَعَلَا: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ۝١٥﴾ [الملك: ١٥]

وأباح الله عَزَّوَجَلَّ طلبه بعد أداء العبادات فلا يقولن أحدٌ أنا مشغولٌ عن العبادة بجمع المال فإن الله أمر بجمع المال وأخذه بعد أداء العبادة فقال سبحانه: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٠﴾ [الجمعة: ١٠]

وقد قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ [المنافقون: ٩]

فإذا كان المال قد ألهاك ابتداءً أو ألهاك انتهاءً عن عبادةٍ ما فأعلم أنك في غفلةٍ او في سكرةٍ أو في حبٍ للمال قل ما يفيق منه إلا الرجال كما أمر الله جَلَّوَعَلَا بإنفاق المال في مراضيه من أداء الواجبات والتطوع في المندوبات من الصدقات والتبرعات وبالشكر لله فيه وعدم الطغيان به فالمال إذا كان عندك فيجب عليك **أولًا**: أن تعتقد انه بمنعمة الله في يديك لا من عندي ولا بكسبي ولا بذكاءٍ ولا بفطرةٍ.

ثانيًا: أن تشكر الله جَلَّوَعَلَا بقلبك.

ثالثًا: أن يظهر ذلك عليك.

رابعًا: أن تؤدي الواجبات والمندوبات.

﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَأَنفَقُواْ لَهُمۡ أَجۡرٞ كَبِيرٞ ٧﴾ [الحديد: ٧]

فأنت مستخلفٌ فقارون ملك ولم يعش بل خسف الله به وبماله الأرض، وأُبي ابن خلف ملك وأشتغل عن الإيمان وطاعة الرحمن بالتجارات حتىٰ هلك فذهب ماله هدرا وصار بين المواريث والوراث متداولا الشكر زينة الغنىٰ والعفاف زينة الفقر وأعلم أيها المسلم أن اليد العليا خير من اليد السفلىٰ.

عن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: يا ابن آدم إنك أن تبذل الفضل [يعني الزائد من حاجتك فلا تكنزه] إنك أن تبذل الفضل خير لك وأن تمسكه شر لك ولا تلام علىٰ كفاف وأبدأ بمن تعول واليد العليا خير من اليد السفلىٰ" [أخرجه مسلم] وفي روايةٍ: واليد العليا المعطية واليد السفلىٰ الآخذة.

أقول ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك ولي الصالحين وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الصادق الأمين صل الله عليه وسلم وعلىٰ آله وصحبه أجمعين وعلىٰ من تبعهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله وأعملوا بطاعته ورضاه.

أيها المؤمنون:

إننا ينبغي علينا أن نعلم ان هذا المال ما هو إلا سببٌ لحياتنا الدنيا نقضي به حوائجنا وأن هذا المال ما هو إلا سببٌ ندرك به عند الله الدرجات العليا ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ﴾ [الطلاق: ٧]

وعن عبد الله ابن عمرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: كفىٰ بالمرء إثمًا أن يضيع من يقود"

[أخرجه مسلمٌ وأبو داوود واللفظ له]

فدل هذا الحديث مع الآية السابقة علىٰ أن طلب المال لأداء الأمور الواجبة يكون واجبا وقد يكون طلب المال مستحبا إذا كان يزيد علىٰ نفقة من تلزمه نفقتهم وقد يزداد الاستحباب إذا كان المقصود من وراء ذلك صلة الرحم ومكافأة الأصدقاء ومواساة الفقراء والإعانة علىٰ أمور الخير قد يكون طلبه مباحًا إذا قصد به التجمل والتنعم، وقد يكون طلبه مكروها إذا طلبه للتفاخر والتكاثر مع أداء الزكاة ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾ [الحديد: ٢٠]

ويحرم طلب المال من كسبٍ حرام ومن طريقٍ حرام كالربا والغصب والسرقة والرشوة والقمار والغش ونحوها والإختلاس قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ﴾ [النساء: ٢٩]

عباد الله:

هذا هو المال وهذا موقف الشرع منه وأصناف الناس فيه فاعلموا أنكم عن قريبٍ زائلون عن الدنيا فانظروا إلىٰ أموالكم من أين تجمعونها وأين تضعونها فأنتم سائلون عن ذلك كله قل المال أو كثر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ۝٩ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٠ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ۝١١﴾ [المنافقون: ٩-١١]

اللهم صل وسلم وبارك علىٰ عبدك ورسولك محمد وأرض اللهم عن الخلفاء الراشدين الأئمة المهديين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وعن سائر الصحابة أجمعين، والتابعين لهم وتابعيهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين، اللهم أعز الإسلام والمسلمين وأذل الشرك والمشركين، اللهم أغفر للمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات إنك قريب سميع مجيب الدعوات، ربنا أدم علينا النعم وأدفع عنا النقم، اللهم أرزقنا يا رب العالمين شكر نعمك اللهم يا رب العالمين أرزقنا شكر نعمك وكسب النعم من طريق حلال اللهم أرزقنا كسب المال من طريقٍ حلال اللهم جنبنا الحرام اللهم جنبنا الحرام اللهم جنبنا الحرام اللهم آت نفوسنا تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها، اللهم وفق أمير البلاد ونائبه لما فيه خير العباد والبلاد اللهم أجعل هذا البلد مطمئنًا سخاءً رخاءً وسائر بلاد المسلمين.